Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المفتش الأكبر إنّ على الأرض قوى ثلاث تستطيع وحدها أن تتغلب على ضمير هؤلاء المتمردين. وهذه القوى هي المعجزة، والسر والهيبة، إلاّ أنّ السيّد المسيح رفض هذه القوى الثلاث، لأنّ السيّد المسيح رفض أن يلقي بنفسه من سطح المعبد، عندما طلب منه ذلك الشيطان ورفض أن ينزل عن الصليب، لكي لا يستعبد الناس بالمعجزة. والناس بطبيعتهم عبيد، ويبتهجون لرؤية راعٍ، يسوقهم كقطيع، ويتحررون من عبء الحرية ويصرح المفتش الأكبر بأنّه يسير مع الشيطان ضد المسيح، لأن الشيطان طلب من المسيح أن يملك العالم فرفض المسيح إذ قال: ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم وخسر نفسه، أمّا المفتش الأكبر فيريد أن يصبح ملكاً على العالم، وآنذاك سيحقق السعادة للإنسانية كلّها.

ويقول المفتش الأكبر للسيّد المسيح: "لقد كان في وسعك أن تقبل سيف قيصر حتى آنذاك، فلماذا رفضت تلك الهبة الأخيرة؟ لو اتبعت الوصية الثالثة التي نصحك بها الروح القوي، إذن لكان في وسعك أن تحقق كلّ ما يتمناه الإنسان على الأرض، وهو أن يعرف من يطيع، وإلى من يعهد بقيادة ضميره، وبأيّ وسيلةٍ يوحّد جميع البشر في مجتمعٍ كمجتمع النمل واحدٍ كبيرٍ منظمٍ"(٣٠)

.

ويقول المفتش الأكبر أنّه لا يحوّل الحجر إلى خبزٍ، وإنّما هو فقط يوزع الخبز الذي يصنعه الناس على الناس، ولولاه لجعل الناس الخبز الذي يصنعونه حجارة يضرب بعضهم بعضهم الآخر بها.

وعندما يعودون إلى المفتش الأعظم يستطيع إعادة الحجارة إلى خبز. وآنذاك سينظر الناس إليه نظرتهم إلى محام يدافع عنهم، وسوف يتراصون حوله كما تتراص الأفراخ حول أمّها، "وسنجبر هذا القطيع من الناس على العمل "– يقول المفتش الأعظم، وسيسمح لهم بالإثم لأنّهم ضعاف" ولأننا نحبّهم، وسنعاقبهم متى شئنا" وسيتحمل مسؤولية خطاياهم أمام الربّ. وحتى الحياة الخاصة مثل علاقة الزوج بالزوجة أو بالعشيقة فسيأخذها المفتش الأعظم على مسؤوليته.

وهكذا فإنّ الموضوعات المشتركة بين أدب دوستيفسكي ورواية "قلب الليل" لنجيب محفوظ كثيرة، يأتي في مقدمتها الشخصية المفكرة، التي تدوّن أفكارها في مقال أو كتاب مثل شخصية جعفر الراوي بطل "قلب الليل" وشخصية راسكولنيكوف بطل "الجريمة والعقاب" واوبليت أحد أبطال رواية "الأبله" وإيفان أحد أبطال رواية "الأخوة كارامازوف".